# 1- ما عليك إلا أن تفعلها!

عليك أن تؤمن بإمكانية فعلها

فلتكن لديك أهداف

استمتع بحياتك بالكامل

لا تستسلم مطلقاً

استعد جيداً

ثق بنفسك

ساعدوا بعضكم بعضاً

لقد أطلق الموظفون في فيرجن اسماً علي وهو «الدكتور نعم». لقد أطلقوا علي هذا الاسم لأنني لا أقول (كلا) أبداً. إني أجد أسباباً لفعل أشياء أكثر من عدم فعلها. شعاري في الواقع هو: «افعلها مهما كانت النتائج»!

لن أقول مطلقاً: «لا أستطيع فعل ذلك؛ لأنني لا أعرف كيف». سأقوم بمحاولة. لن أسمح لقواعد سخيفة بأن تمنعني. سأجد طريقة مشروعة للاحتيال عليها. أخبر العاملين لدي، «إذا أردتم فعله، فما عليكم سوى فعله». بهذه الطريقة سوف نستفيد جميعنا. تنال أعمال العاملين وأفكارهم التقدير وتكسب فيرجن من أفكارهم واندفاعهم.

لا أعتقد أن تلك الكلمة الصغيرة «لا أستطيع» ينبغي أن تمنعك. إذا لم تكن لديك الخبرة الصحيحة لبلوغ هدفك فلتبحث عن وسيلة أخرى. إذا أردت الطيران، انزل إلى المطار في سن السادسة عشرة وقم بتحضير

obeikandl.com

الشاي. كن يقظاً دائماً، انظر وتعلم. لا يتوجب عليك الانضمام إلى كلية الفنون لتكون مصمم أزياء. التحق بشركة أزياء واعمل كناساً. عليك أن تشق طريقك.

تعد والدتي «ايف» Eve مثالاً أنموذجياً لهذه الفكرة. خلال الحرب أرادت أن تصبح طياراً، ذهبت إلى مطار هيستون وطلبت عملاً. قيل لها: إن عمل الطيار يقتصر على الرجال. كانت أمي جميلة جداً وسبق لها أن كانت راقصة مسرح. لم تكن تبدو كرجل ولكن هذا لم يمنعها. ارتدت سترة طيران جلدية، وخبأت شعرها الأشقر تحت خوذة جلدية، تحدثت بصوت خفيض وحصلت على العمل الذي أرادته وتعلمت كيف تتحدر بالطائرة دون الاستعانة بقوة المحرك، وبدأت بتعليم الطيارين الجدد. هؤلاء كانوا الشبان الذين حلقوا بطائرات مقاتلة في معركة بريطانيا.

بعد الحرب أرادت أن تكون مضيفة طيران ولكن آنذاك كان يتعين على المضيفة أن تتكلم الإسبانية وأن يتم تدريبها كممرضة، ولكن دردشت أمي مع الحارس الليلي في الخطوط الجوية وأدرج اسمها بشكل سري في القائمة. سرعان ما أصبحت مضيفة طيران. ما زالت لا تستطيع التكلم بالإسبانية ولم تكن ممرضة، ولكنها استخدمت فطنتها، لم تكن تقول: (كلا)، وإنما فعلتها.

لم تكن أمي الشخص الوحيد في العائلة الذي كان يقول: «هيا لنفعلها»!

المستكشف الشهير الكابتن روبرت سكوت (Robert Scott) كان ابن عم جدي، كان رجلاً ذا شجاعة عظيمة. قام برحلتين إلى القطب الجنوبي، وكان هدفه أن يكون أول إنسان يذهب إلى القطب الجنوبي، قال الناس:

إنه لا يمكن القيام بتلك الرحلة ولكنه قال: «أستطيع القيام بها». وأوشك أن يفعلها. لقد وصل إلى القطب الجنوبي ولكنه كان الثاني. وصل قبله روالد أمندسين (Roald Amundsen). كانت صدمة كبيرة لسكوت وتوفي في رحلة العودة. وحين يقول الناس: ليس هناك جوائز للمرتبة الثانية أفكر فيه، هو شهير لكونه ثاني المكتشفين للقطب الجنوبي. قام أيضاً بأول رحلة بالمنطاد فوق القطب الجنوبي ولكن لا يتذكر الناس ذلك.

بدأت بمجلة Student (الطالب) عندما كنت في الخامسة عشرة من عمري ولا أزال في المدرسة. قال بعض الناس: إنه لا يمكنني القيام بذلك لأنني كنت صغيراً جداً وليس لدي خبرة. ولكنني أردت أن أثبت أنهم كانوا على خطأ وآمنت بإمكانية فعلها. قمت بعملياتي الحسابية بحذر ونجحت في معرفة قيمة فاتورة الورق والطباعة. وبعدها قمت بحساب المدخول من المبيعات ومن بيع مساحة إعلانية.

أعطتني أمي أربعة جنيهات للطوابع. أمضيت أنا وصديقي في المدرسة جوني جمس (Jonny Gems) زهاء سنتين ونحن نخط مئات الرسائل محاولين بيع مساحة. وقد حاولت أيضاً إجراء مقابلات مع أناس مشاهير. كانت كتابة تلك الرسائل وانتظار الردود أكثر متعة من الدروس اللاتينية. لقد غمرتني سعادة عارمة عندما حصلنا على شيكنا الأول لمساحة إعلانية. كان بمبلغ 250 جنيهاً استرلينياً، مبلغ ضخم. لقد أثمرت معتقداتي.

لم أكن جيداً جداً في اجتياز الامتحانات في المدرسة. كنت أعلم أنني أستطيع عمل الأفضل في كسب رزقي بنفسي في العالم. لقد تركني والداي أتخذ ذلك الاختيار. كانا داعمين لي مهما فعلت. وهكذا تركت المدرسة

عندما كنت في السادسة عشرة للتفرغ للعمل في مجلة (الطالب) «Student». عسكرنا أنا وجوني في قبو منزل والديه في لندن. كان رائعاً أن نكون يافعين وأحراراً في لندن. كنا كتلاميذ لا يتوجب عليهم الدراسة. ومع ذلك، عملنا بالجدية والجهد نفسيهما. وحصلت على بعض مقابلات من الدرجة الأولى مع جون لينون (John Lennon) ومك جاغر Mick Jagger وفانيسا ريدغريف (Vanessa Redgrave) ودادلي مور (Dudley Moore).

كان لدينا أسماء مشهورة أكثر من بعض أشهر المجلات. بدأ يزورنا بعض المشاهير. الحياة في القبو كانت عبارة عن فوضى مجيدة. كانت أشبه بحفلة مستمرة دون توقف.

بالإضافة إلى ذلك كان لدينا جانب جدي. كنا نرسل جماعتنا لتغطية القضايا الكبرى الجارية آنذاك كالحرب في فيتنام والمجاعة في بيافرا. شعرنا بأننا نغير الأشياء. ما فعلناه كان فضلاً عن كونه مقدمة. كنا فريقاً متماسكاً حتى عائلتي ساعدت في بيع المجلات. أخذت أمي حزمة كبيرة إلى الحديقة العامة وباعتها هناك. كلما سنحت لنا فرصة كنا نقوم باغتنامها.

أخذنا نتوسع بحيث أصبحنا أول الناس الذين يبيعون أسطوانات بسعر مخفض عن طريق طلبات بريدية ـ صدرت الدعاية الأولى في آخر طبعة مجلة Student. وعندما أوقفنا إضراب بريدي بحثنا عن طريقة أخرى.

لم نستسلم. كان هدفنا فتح محلات لبيع الأسطوانات، ولكن لم يكن لدينا المال الكافي. لذلك تحدثنا إلى رجل يملك محل أحذية ليسمح لنا باستخدام الحيز الذي يمكنه الاستغناء عنه. عملنا بجد للترويج

للافتتاح. لقد جعلنا من المحل مكاناً هادئاً يقصده الطلاب. ومن مخزن واحد إلى ثانٍ ومن ثم إلى ثالث وهكذا. وسرعان ما أصبح لدينا محلات في كل مدينة كبيرة، وكنت لا أزال تحت سن العشرين. أخذت النقود تتدفق بسرعة. ولكنني لم أسترح أبداً. لقد حققنا ذلك الهدف ولكن ما زال لدي المزيد من الأهداف.

أحد أكبر أهدافي في الحياة هو أنني أردت دوماً أن أستمتع بحياتي لآخر قطرة مثل الكابتن Scott. لذلك في عام 1984 عندما طلب مني أن أكون راعياً لزورق آلي ليفوز بجائزة Blue Riband لبريطانيا، وافقت على الفور. (Blue Riband) هي جائزة لأسرع عبور للمحيط من أمريكا إلى أيرلندا. قلت: إنني سأنضم للطاقم وتدربت بجد. كانت هناك عقبة واحدة صغيرة. جوان وأنا كنا ننتظر مولوداً وقد وعدتها بأني سأكون موجوداً عند الولادة. وبعد ذلك علمنا أن الطقس كان مناسباً تماماً من أجل محاولة تسجيل رقم قياسي. كنت سأخذل الفريق في حال عدم ذهابي.

سألت جوان: «ماذا علي أن أفعل؟»

أجابت: «افعلها فحسب ـ اذهب» فالطفل لن يرى النور قبل أسبوعين وأنت سوف تعود قبل ذلك».

انطلقنا برحلتنا وأخذنا نتخبط بين الأمواج في القارب «Virgin Atlantic Challenger». في نهاية اليوم الأول، وصلتني الأنباء أن ابني سام قد أبصر النور. احتفلنا وواصلنا سيرنا. كان الفوز بجائزة أسرع عبور يتم حتى ذلك الوقت في متناول أيدينا إلى أن اصطدمنا بعاصفة

هوجاء قادمة من أيرلندا. اصطدمنا بموجة عملاقة على بعد 60 ميلاً من النهاية. انفلق هيكل السفينة وغرقنا. وأخذنا نستغيث ونصيح «!Mayday Mayday! Mayday!».

كنا في عرض البحر في خضم عاصفة في رمث نجاة. لقد أنقذنا زورق كان في طريقه إلى أمريكا. لقد فشلنا في محاولتنا الأولى لربح جائزة «Blue Riband» ولكننا لم نستسلم. بعد مضي ست سنوات، عدت مع «Virgin Atlantic Challenger» الثانية. ظلت الأمور تسير بشكل حسن إلى أن وجدنا مياه البحر تدخل في خزانات الوقود. توقفت المحركات. أمضينا ساعات في تنظيف الخزانات وفي محاولة تشغيل المحركات. بدا الأمر مستحيلاً. قال الآخرون في النهاية: إنه ينبغي علينا الاستسلام، وقالوا: إن الأمر انتهى. ولكنني علمت أنها محاولتنا الأخيرة. إذا لم نقم بها الآن فلن نستطيع القيام بها مطلقاً. كان علي أن أقنعهم بألا يستسلموا فقلت لهم: «هيا بنا، علينا أن نفعلها، دعونا نحاول».

كنا جميعاً في غاية الإرهاق. مقل أعيننا احمرت وتعبت. أصبنا جميعنا بدوار البحر. كرهنا القارب. تمنينا أن ننام لمدة أسبوع.

«علينا أن نستمر»، صحت بهم. «حسناً» لقد وافقوا. سنقوم بمحاولة واحدة أخيرة».

بطريقة ما شغلنا المحركات وعاودنا المسير مجدداً. بدا الأمر مستحيلاً، كنا متأخرين عن الزوارق الباقية لدرجة أنه لم تكن هناك فائدة من المحاولة على ما يبدو. ولكننا واصلنا المسير وعوضنا عن الوقت. في النهاية

حطمنا الرقم القياسي بساعتين وتسع دقائق فقط ـ ولكننا فعلنا. العبرة التي تعلمتها من تلك التجربة التي أحيا في ظلها هي الاستمرار بالمحاولة وعدم الاستسلام مطلقاً.

وفي اليوم التالي لفوزنا بـ Blue Riband طلب مني شخص سويدي يدعى بير لندستراند (Per Lindstrand) عبور المحيط الأطلسي مجدداً ولكن بمنطاد هواء ساخن. فكرت في بطلي القديم الكابتن Scott الذي كان قد طار بمنطاد فوق القطب الجنوبي. لم يسبق لي أن ركبت منطاداً. ولم يسبق لأحد مطلقاً الطيران عالياً بالمنطاد. كان هذا عملاً جنونياً وكانت مجازفة كبيرة. بحلول ذلك الوقت، كانت شركاتي تتعامل بمئات الملايين من الجنيهات. ماذا سيحصل لو أنني مت؟

كان هناك الكثير من المشكلات ولكنني لا أستطيع مقاومة أي تحد وفرصة محاولة شيء جديد. قلت: «ما علينا إلا أن نفعلها مهما تكن النتيجة»!

ولكن في البداية سألت بير: «هل لديك أي أطفال؟».

أجاب: «نعم: لدي طفلان».

هذا كان كافياً لي ـ إذا استطاع قبول التحدي، فبالتالي أنا أستطيع. صافحته بحرارة وأخبرته بأنني سأنضم إليه.

أخبر الناس دائماً بأنهم إذا أرادوا القيام بأي شيء بشكل جيد فيجب عليهم التخطيط والاستعداد. لذلك ذهبت إلى إسبانيا مع بير وتعلمت الطيران بالمنطاد. لم أكن على معرفة بذلك ولكن تلك الدروس أنقذت حياتي.

obeikandl.com

أحد الأشياء التي تعلمتها هو أن كل منطاد يعمل بالهواء الساخن يحمل وقوداً يحترق من أجل تسخين الهواء في المنطاد. يرتفع الهواء الساخن وبالتالي يرتفع المنطاد. وعندما لا يحترق الوقود يبرد الهواء وبالتالي ينخفض المنطاد في السماء. عند الطيران بمنطاد يعمل بالهواء الساخن ينبغي على القبطان أن يسخن أو يبرد الهواء لكي يبقى المنطاد بالمستوى الصحيح لالتقاط الرياح بوجهة المنطاد نفسها.

تهب الرياح والتيار المتدفق من أمريكا إلى أوروبا. غادرنا أمريكا وبعد 29 ساعة كنا نحلق في سماء أيرلندا. كنا أول من عبر المحيط الأطلسي بمنطاد هواء ساخن. كانت هناك مشكلة واحدة فقط وهي كيف نهبط. كانت لا تزال لدينا بعض خزانات الوقود الممتلئة، وكان الهبوط بها في منتهى الخطورة. ربما نتحطم ونحترق. اخترنا أن ننخفض ونرمي الخزانات في أحد الحقول. خفضنا اللهب في المنطاد وهبطنا. حررنا الخزانات. وبعدها أصبح وزننا خفيفاً جداً.

ارتطمنا بأحد الحقول وارتد المنطاد في السماء بعد أن فقدنا السيطرة عليه قال بير: «لنهبط على الشاطئ، حيث لن نؤذي الناس».

حلقنا في ضباب كثيف وأخطأنا الشاطئ. بدا البحر أسود وعاصفاً جداً. لو هبطنا فيه بالمنطاد، فقد نغرق. جاهدت لأرتدي سترة النجاة. وفجأة، قفز بير في البحر الجليدي من على ارتفاع 56 قدماً تقريباً. ودون وزنه فقد ارتفع المنطاد فجأة مسافة بالغة الارتفاع بحيث لا يمكنني القفز، وأصبحت وحدي.

وحلقت أعلى فأعلى داخل الغيوم وأخذتني الرياح شمالاً تجاه اسكتلندا. كنت بمفردي أطير في أكبر منطاد تم بناؤه حتى ذلك الحين. بقيت لدي كمية من الوقود تكفي لساعة واحدة تقريباً، وما إن تنفد فإنني سأهوي في البحر. حاولت الاستعانة بجهاز الراديو ولكن كان ميتاً ولم أدرِ ماذا أفعل. بإمكاني أن أقفز بوساطة مظلتي أو أن أبقى في مكاني. كتبت في دفتر ملاحظاتي «جون، هولي، سام، أنا أحبكم».

قلت في نفسي: ما دمت حياً، فلا يزال باستطاعتي فعل شيء ما، ولا بد من أن يحدث شيء ما. وقد حدث ذلك الشيء بالفعل. وعندما انساق المنطاد هابطاً نحو البحر القاتم، خرجت من الغيوم وشاهدت طائرة هليكوبتر. كانت تبحث عني! لوحت لها بيدي ولوح طاقمها لي. إذن أنا في أمان.

حين اقتربت من الأمواج، قفزت في البحر بعيداً عن المنطاد ودون وزني فقد طار عالياً واختفى عن الأنظار. التقطتني طائرة الهليكوبتر خارج الماء الجليدي. سألت عن بير ولكن الطاقم اعتقد أنه كان معي. لقد مضى على وجوده في البحر ساعات عدة. يتعين علينا العثور عليه سريعاً. أخبرتهم أين يمكن أن يكون وقد تم إنقاذه قبل أن يتجمد ويهلك بمدة قصيرة.

كانت الرحلة بكاملها تجربة مذهلة. لقد تعلمت العديد من الدروس، ليس فقط أن تفعل ما تريد فعله، وإنما أيضاً الاستعداد جيداً وأن تكون لديك ثقة في نفسك وأن يساعد الواحد الآخر، وألا تستسلم أبداً.

يمكن الاستفادة من كل هذه الدروس في الحياة. ليس عليك أن تدير عملاً كبيراً أو أن تطير في منطاد أو أن تسجل رقماً قياسياً في زورق كي تتعلم وتستفيد من الدروس التي تعلمتها. يمكن أن يكون هدفك صغيراً.

مثلاً كانت مجلة «Student» صغيرة جداً في البداية. وقد تمكنت من بيع مساحة منها بواسطة هاتف عمومي في المدرسة، إيماناً مني بأن باستطاعتي فعل ذلك. إذا كان هناك شيء ما تريد فعله حقاً فما عليك إلا أن تفعله. مهما كان هدفك فإنك لن تنجح ما لم تتخلص من مخاوفك وتطير.

obeikandl.com